

اِسْمَاءُ اللّٰهِ الْحُسْنٰى

12

الْعَالِمِ

الْكَبِيرِ

الْحَقِيقِ

ترجمہ: مولانا محمد رفیع الرحمن
تصحیح: مولانا محمد رفیع الرحمن

الأعلى

أمرنا الرسول ﷺ أن نقول في سجودنا : «سبحان ربى
الأعلى ، ثلاث مرات في السجدة الواحدة ، وهذا إقرار من
العبد بعلو مكانة خالقه وعظمته ، فهو (سبحانه وتعالى)
العلى الأعلى فى المكان والمكانة على حد سواء .
وعندما نتأمل فى هذا الاسم العظيم ، ندرك أن مكانة الله
ورتبته فوق كل مكانة ، فمكانة الله أعلى من أن ترام وذاته
أكبر من أن تضام . منزله فوق كل منزلة وعظمته لا يدانيها
أحد من خلقه ، من التجأ إليه عز ، ومن احتتمى به هدى إلى
صراط مستقيم . أما من استغنى وتكبر ، فقد هوى إلى

مكان حقيق ، وانخفض إلى أسفل سافلين
 ولعله من أسرار الصلاة وتفتحاتها على المسلم ، أنه
 يذكر اسم ربه الأعلى في أثناء السجود ، وهو في حالة
 خشوع وخضوع كاملة لله (عز وجل) ، ولذلك يقول
 الرسول ﷺ : « إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو
 ساجد » . فالسجود في حد ذاته اعتراف بعظمة الله وعلو
 مكانته ، لأن الإنسان يهبط بأعلى مكان عنده يحس به
 الأرض خشوعاً لله ، وفي هبوط الجسد ارتفاع الروح
 والدرجات ، فإذا كان الإنسان يسجد لله وينحني إجلالاً
 له ، فإن الله (تعالى) يرفع من قدر هذا الإنسان ويعلو
 من مكانته . قال (تعالى) : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا
 منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة : ١٧)
 وقد اقترن اسمه تعالى ، العلى ، في القرآن بأسمائه
 الحسنى : العظيم والكبير والحكيم ، وذلك لكي
 يؤكد أن علو الله وارتفاع مكانه ومكانته دليل على عظمته
 المطلقة ، فهو العظيم الذي يستحق وحده هذا العلو

وهذه المكانة ، وهو العليُّ الكبير المتعالى ذو
الكبرياء ، وهو العليُّ الحكيم الذى يدبر أمور خلقه
بحكمة ، فلا يقضى شيئاً إلا بحكمته المتناهية التى
تدرك حقائق الأمور وأبعاد الأشياء
قال (تعالى) : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً
أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ
إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ . (الشورى : ٥١)

وقال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ .
(الحج : ٦٢)

وقد ورد أن رسول الله ﷺ سمع فى ليلة الإسراء
والمعراج تسبيحاً فى السموات العلى : «سبحان العلى
الأعلى ، سبحانه وتعالى» .
فسبحان العالى علو الجلال والكمال ، الذى ليس فوقه
أحد ولا يدانيه أحد بل هو العلى بالإطلاق : ﴿ الرَّحْمَنُ
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

ولا يبلغ الإنسان مكانة عالية حقيقة إلا بطاعته
للله وإخلاصه له في السر والعلن ، لأن الله وحده هو
الذي يملك أن يرفع مكانة الإنسان سواء في الدنيا أو
الآخرة . قال (تعالى) : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ
إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

(مريم : ٥٦ ، ٥٧)

وقال (تعالى) عن نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ .

(مريم : ٤٩ ، ٥٠)

والذي يتأمل في قصة الخليفة يدرك أن العمل الصالح هو
الذي يرفع قدر صاحبه ، فقد خلق الله آدم من تراب ونفخ
فيه من روحه ، ورفع الله مكانته وأمر الملائكة بالسجود
له ، أما إبليس فقد خلقه الله من نار ، وعندما أمره الله
بالسجود لآدم أبى واستكبر وامتلأ زهواً وغروراً وكبرياء ،
فطرده الله من الجنة ، وجعل مكانته في انخفاض دائم .

فَالْإِنْسَانُ لَا تَعْلُرُ مَكَانَهُ عِنْدَ اللَّهِ بِسَبَبِ حَسَبِهِ
أَوْ جِنْسِهِ أَوْ لَوْنِهِ ، وَلَكِنْ بِطَاعَتِهِ وَالتَّزَامِهِ وَخُضُوعِهِ
لِأَمْرِ اللَّهِ (تعالى) .
فَسُبْحَانَ الْعَلِيِّ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ، وَسُبْحَانَ الْأَعْلَى
الْوَهَّابِ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ مِنْ شَأْنِنَا وَشَأْنِ بِلَادِنَا ، وَأَنْ
تَعْلِيَ مَكَانَتَنَا بَيْنَ الْأُمَمِ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ . اللَّهُمَّ آمِينَ

الأكبر

كان النبي ﷺ يصلي مع أصحابه ، فسمع رجلا يقول :
- الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة
وأصيلا .
فلما انتهت الصلاة ، سأل النبي ﷺ :
- من القائل كلمة كذا وكذا ؟
فقال رجل من القوم :
- أنا يا رسول الله .
فقال الرسول ﷺ :
- عجبت لها فتحت لها أبواب السماء .
وكان الصحابة يسمعون هذا الحوار ، فقال أحدهم

وهو عبدُ الله بنِ عمر :

— فما تركتهنَّ منذُ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ ذلك .
فما هذا الاسمُ الجليلُ الذي تفتحُ له أبوابُ السماءِ ويستجابُ
لصاحبه ؟

إنَّه اسمُهُ (تعالى) الكبيرُ . ومعناه أَنَّهُ (تعالى) ذوُ الكبرياءِ
والعظمةِ ، فهو الكبيرُ المُتَّصِفُ بالجلالِ وعلوِّ الشَّانِ
وكبرِ المَقامِ ، وكلُّ شيءٍ إذا قيسَ إليه فهو صغيرٌ ضئيلٌ .
يقولُ (تعالى) :

﴿ ذَٰلِكَ بَآءُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ . (الحج : ٦٢)
وإذا أراد الإنسانُ أن يَعاكِدَ من هذا المعنى ، فلينظرَ إلى
السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ وهذه الحياةُ على اتساعِها . كلُّ
ذلكَ بعضُ خلقِ الله . أمَّا ما لا نراهُ فهو أكثرُ بكثيرٍ .
يقولُ (تعالى) : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ .
(الذَّارِيَات : ٤٧)

فالذي خلقَ كلَّ ذلكَ هو (الكبيرُ المتعال) .
ولعلَّ الذي يتأملُ في بعضِ أسرارِ الصَّلَاةِ ، وخاصةً تكبيرةِ

الإحرام ، يُدْرِكُ عِظَمَ هَذَا الْأَسْمِ وَمَعْنَاهُ . قَالَتْ حِينَ
تَبْدَأُ الصَّلَاةَ بِقَوْلِكَ : «اللَّهُ أَكْبَرُ» ، تَعْرِفُ بِأَنَّ اللَّهَ
(تَعَالَى) أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ هَرَوَلَتْ إِلَيْهِ ،
وَتَرَكْتَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَضَعْتَ لَهُ وَحَدَّهُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ،
وَحَنَيْتِ رَأْسَكَ لَهُ ، وَطَرَحْتَ كُلَّ شَيْءٍ وَرَاءَ ظَهْرِكَ ، لِأَنَّكَ
تَدْرِكُ أَنَّكَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ (الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى) . وَقَدْ وَصَفَتْ
السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ حَالِ الرَّسُولِ ﷺ حِينَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ
بِقَوْلِهَا :

- يَكُونُ مَعَنَا نَكْلَمُهُ وَيَكْلَمُنَا ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ
فَكَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ .
وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ (جَلَّ ثَنَاهُ) بِأَنْ نُمَجِّدَهُ وَنُعَظِّمَهُ وَنُكَبِّرَهُ
بِقُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْتَسِبُ إِقْرَارًا مِنَ الْعَبِيدِ
بِرُحْدَانِيَّتِهِ ، وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ . قَالَ (تَعَالَى) :
﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ﴾ .
(الإسراء : ١١١)

وَهَذَا التَّكْبِيرُ ، وَخَاصَّةً فِي الْمَنَاسِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكُبْرَى

كالبحر والأعياد ، يضاف على الناس والوجود مظاهر
البهجة والفرحة ، ويشعر الإنسان كأن الوجود يتروم
معه بالتكبير والتهليل ، والحياة تسبح بحمد الله ، حتى
الجماد والطير والحجر والشجر ، كل أولئك يسبح
بحمد الله يقول (تعالى)

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الاسراء : ٤٤)

ولذلك فقد شرع الإسلام التكبير في هذه المناسبات
تعبيراً عن البهجة والفرحة ولم يشرع شيئاً آخر ، كما
شرع التكبير في الأذان خمس مرات في اليوم ، وذلك
لكي يكون حافزاً للناس على الإسراع إلى الصلاة
والاستعداد لها ، بما يتناسب مع مكانتها وأهميتها
والكبير من العباد - كما قال العلماء - هو الإنسان
القريب من الله ، الذي يفيض على من حوله من الناس من
علمه وكرمه ورجاحة عقله

فكمال العبد في عقله وورعه وعلمه وطاعته لله
فالكبير هو العالم الشقي ، المرشد للخلق ، الصالح لأن يكون

قُدُوةٌ ، يُقْتَبَسُ مِنْ أَنْوَارِهِ وَعُلُومِهِ .

وَلِلَّذَلِكَ فَقَدْ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ ، فَذَلِكَ يَدْعِي عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ يَا مُتَعَالَى ، أَنْ تُعَلِّيَ
مِيزَانَنَا وَأَنْ تُفِيضَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَنْ تَجْنِبَنَا الزُّلْمَ
وَالنِّسْيَانَ ، حَتَّى تَكُونَ نَفْسُنَا كَبِيرَةً وَهَمَمُنَا عَالِيَةً فِي
طَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ .

الحَفِظُ

كان عبد الله بن عباس يلازم الرسول ﷺ في حله وترحاله ، لكي يتعلم منه ويعي عنه .. وفي إحدى المرات ، وبينما كان يركب خلف رسول الله ﷺ وهو طفل صغير ، قال له النبي ﷺ : يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمه لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ، (رواه الترمذی)

ولم يفت ذكاء عبد الله بن عباس - برغم صغر سنه -

أن يدرك أن حفظ الإنسان لله معناه : أن يمثل
لأوامره وينتهي عن نواهيهِ ، وألا يتجاوز حدوده مع الله
بالمعاصي والذنوب .

أما حفظ الله للإنسان فمعناه : حماية الإنسان من كل شر
وسوء ، فالإنسان برغم ضعفه يعيش على ظهر الأرض أما
مطمئنا سالما دون خوف أو قزع بركة حفظ الله له ، فالله
يحمي الإنسان من همزات الشياطين ووسوسة النفس ومن كل
شيء يريد به سوءا ، فهو (سبحانه وتعالى) الحفيظ الحافظ ،
قال (تعالى) ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ *
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانقطار : ١٠ - ١٢)

والله (تعالى) يحفظ السموات والأرض والكائنات من
الزوال والاندثار حتى تنتهي مهامها بالفترة التي كتبها الله
لها . ولا يملك أحد أن يحفظ هذا الوجود إلا الله (تعالى) ،
لأن حفظ الأشياء والحفاظ عليها يقتضي قدرة خاصة وقوة
وحكمة وعلمًا . ولا يتصف بذلك سوى الله جلّت قدرته .
ويروى العلماء والمفسرون : أن الشياطين قديما كانت
تحاول أن تسمع الأخبار وتعرف على ما سيحدث في

الغيب ، لكن الله (تعالى) منعها من ذلك ، وجعل

في السماء شهبا تحرق الشياطين وتصفقهم إذا حاولوا

أن يسمعوا أو ينصتوا .

قال (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينًا

لِلنَّاطِرِينَ ۖ وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ

السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ۖ ﴾ (الحجر : ١٦ - ١٨)

ولذلك فإنه لا يعلم الغيب إلا الله ، ولا توجد قوة في

الوجود بإمكانها أن تنبأ بما سيحدث ، ولذلك يجب على

الإنسان أن يطمئن ولا يخاف ، لأن أمره ورزقه وكل ما يتطلع

إليه بيد الله الحفيظ .

وكان الرسول ﷺ يعلم أصحابه أدعية مأثورة في أوقات

مختلفة ، وهذه الأدعية تحفظهم من كل سوء بإذن الله ،

ومن تلك الأدعية ما ندعو بها عند النوم خاصة وعند

دخول دورات المياه .

قال رسول الله ﷺ : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه

فلينفضه بداخله إزاره ، فإنه لا يدري ما خلقه عليه ، ثم

ليضطجع على شقه الأيمن ، ثم ليقل : باسمك ربّي وضعت

جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ،
وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ،
(رواه البخاري)

وهناك كتاب شامل يجمع الأذكار والأدعية المأثورة عن
النبي ﷺ ، عنوانه ، الأذكار ، المنتخب من كلام سيد الأبرار ،
جمعه وعلق عليه الإمام النووي رحمه الله ، ويمكن الرجوع
إليه للاستزادة .

ولعل أهم شيء حفظه الله لنا هو القرآن الكريم ، حيث
قال (تعالى) : ﴿ إِنَّا لَنُحْيِي الذِّكْرَ وَإِنَّا لَنَحَافِظُونَ ﴾
(الحجر : ٩)

فالقرآن الكريم منذ أنزله الله (تعالى) على رسوله وحتى
تقوم الساعة ، هو كتاب الله المعجز الذي وصلنا بلا تبديل
ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان ، والسرفي ذلك هو حفظ
الله (تعالى) له ، وقد هيا له من العلماء المخلصين من حفظه
وفسره وشرح معانيه .

ولا يوجد كتاب على وجه الأرض توفر له مثل ما توفر
لهذا القرآن الكريم ، حيث نجد العناية به منذ القدم كبيرة ،

والمكتبة تحتوي على آلاف الكتب التي تدور حول القرآن وعلومه . أليس هذا حفظاً للقرآن وصيانة له ؟
ومهما حاول أعداء الإسلام أن ينالوا من مكانة القرآن أو يحرفوا في معانيه أو ألفاظه ، فإن الله لن يسكنهم من ذلك ، لأن هذا الكتاب الخالد هو الدستور الذي يستمد منه المسلمون والناس جميعاً أحكامهم وأمور حياتهم ، لأنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
اللهم احفظنا من كل سوء ، احفظنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك ، واحفظ الإسلام من كيد أعدائه واحفظ نفوسنا وأرواحنا وأجسامنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

